□ .. تتناول هذه الورقة ظاهرة دينامية من الطراز الأول، وهي النظام العربي أو العلاقات السياسية العربية كما تتبلور في شكل نظام أو نسق ويستخدم النظام الإقليمي كمفهوم أصبح متداولاً في علم السياسة لدلالة على هذا النمط من الكتابات التي تتناول أحد النظم الفرعية في النظام الدولي، وورود كلمة عربي كصفة للنظام ليس للإشارة إلى منظمة جغرافية ولكن إلى انتماء ثقافي وحضاري.

ومنذ نشأة هذا النظام ١٩٤٥م وحتى الآن ما زالت هناك أسئلة كثيرة وصعبة تطرح نفسها على الباحثين وعلماء السياسة العرب عن هذا النظام مثل رخاوة الروابط التي يفترض أن تقوم بزيادة فاعلية النظام مثل الانتماء والثقافة والمصير والتاريخ والجغرافيا، ومجموعة أسئلة تدور حول تفشي ظاهرة اختراق النظام واختراق الدولة كطرف فاعل فيه.

بناء عليه فإن هناك أهمية ليس فقط في التعريف بالنظام العربي والصفات المكونة له وطبيعة علاقته بالقوى الإقليمية والخارجية، ولكن أيضاً في كشف ملامح وأبعاد اصطلح عليه جمهور الباحثين والساسة من وجود (أزمة) يعانى منها النظام والتي لا تنعكس فقط على أداء مؤسسة النظام ممثلة في جامعة الدول العربية، وإنما أيضاً على فاعلية النظام في مواجهة التحديات المصيرية الحالية، وخصوصاً قضيتا فلسطين والعراق.

النظام الإقليمي العربي
وعلاقته بالقوى الدولية

حمدي عبد العزيز

تعريف النظام الإقليمي العربي

● ينظر الدارسون إلى المنظمة السياسية الدولية بصفتها شبكة أو مجموعة متراكبة من المنظومات الفرعية المترابطة والمعتمدة بعضها على بعض سواء منظومات عالمية أو إقليمية أو قومية أو محلية.

أما المنظومة الدولية الإقليمية: فيعرفها ريمون آرون بأنها: "تجميع تشكله وحدات سياسية تحتفظ بعلاقات منظمة إحداهما مع الأخرى، وهي كلها وحدات قابلة لأن تتورط في حرب كبيرة" أما هدلى بل فيرى أنها: "منظمة تظهر للوجود حين يكون لدى دولتين أو أكثر من الاتصال فيما بينهما ويكون لديهما من التأثير إحداهما في قرارات الأخرى ما يكفى لكي يجعلها تتصرف - بقدر ما في الأقل - كأجزاء بين كل واحد".

ويعرفها تشارلز ماكليلاند وجون مورتونى بأنها: "تتكون من مجموعات من الروابط والعلاقات بصفتها شكلاً موسعًا لاثنين من الأطراف الفاعلة المتفاعلة فيما بينها".

وتختلف تعاريف الإقليم اختلافًا واسعًا بناء على الطرق والصفات التي يستخدمها الاختصاصيون في نظرية الإقليم مثلاً يعرف بعضهم الإقليم من حيث انعزاله أو انفصاله كإفريقيا جنوب الصحراء أو من حيث الانسجام النسبي في الولاء والوطنية فالوطن العربي أو من حيث مشكلة تخص المنطقة كجنوب شرق آسيا أو من حيث الوسيلة لتفعيل السيطرة كالشرق الأوسط، ولا غرابة إذن أن يوصف مفهوم الإقليمية بأنه مفهوم متعدد الجوانب وبأنه ليس شيئًا واحدًا بل أشياء متعددة.

وتحديد الصفات الأساسية التي تكون المنظومات الإقليمية، وتقرر عضويتها هو أمر لا يكون اعتباطًا، ويمكن استخدام مجموعة من الشروط الضرورية والكافية لتحديد وجود منظومة فرعية ما، وهذه الشروط تتضمن بعض عناصر أو معايير مشتركة منها : وجود اثنين أو أكثر في الأطراف الفاعلة في الإقليم ،اشتراك هذه الوحدات بصفات ومميزات مشتركة، وتفاعل فيما بينها بانتظام وقوة ، فتقيم بذلك نمطًا من العلاقات والروابط بينها، ونتيجة لذلك يؤدى التغيير في بعض الأجزاء من المنظومة الفرعية إلى التغيير في الأجزاء الأخرى يعترف بالمنظومة الفرعية من قبل اللاعبين الداخليين والخارجيين بصفتها مسرح عمليات مميزًا.

وأن تكون الأطراف الفاعلة متجاورة بشكل عام مع أن عددًا من الباحثين يستخدمون مصطلح الشرق الأوسط إلا أنهم يقرون بغموض طبيعة هذا المصطلح وحدوده - كما سنرى لاحقًا، فعلى الرغم من الاستخدام الواسع لمصطلح الشرق الأوسط الذي يلجأ إليه الباحثون والدوريات، ووسائل الإعلام فإنه لا يوجد رسم قياس للحدود يمكن بواسطته توصيف منظومة (الشرق الأوسط) توصيفًا جغرافيًا دقيقًا.

ولم يبدأ استخدام مصطلح (الشرق الأوسط) من قبل الدارسين، وصانعي السياسة في الغرب إلا في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وإن كان ذلك قد جرى من دون اتفاق في الرأي على حدوده الجغرافية لذا ارتأى بعض المراقبين الغرب آن فكرة المنظومة الفكرية الشرق - أوسطية لم يكن لها أى واقع جغرافى أو تاريخى، وإنما هى مفهوم سياسى يعكس المصالح الاستراتيجية للدول الكبرى.

وتجدر الإفادة إلى أن المنظومة الفرعية العربية كانت أصدق تمثيل للتفاعلات والعلاقات في المنطقة، وتشمل البلدان العربية كلها من موريتانيا إلى الخليج أما أعضاء هذه المنظومة فيربطهم الامتداد الجغرافى كما أنهم يشتركون بخصائص لغوية وثقافية وتاريخية واجتماعية متماثلة.

أزمة العلاقات العربية - العربية

● ومن يتأمل التفاعلات السياسية العربية داخل النظام الإقليمي العربي يلاحظ سيادة نمط الأزمة عليها في سيناريوهات متكررة يتغير مضمونها كثيرًا وتبقى ديناميكيتها واحدة فالمضمون قد يكون خلافًا على الحدود السياسية، وقد يكون خلافًا حول مستويات العمل القومي ومستوى الالتزامات المتبادلة بين أطراف النظام العربي وقد يكون مرة ثالثة حول الموقف من صراعات عربية على الآخرين كالصراع العربي الإسرائيلي، وطرق مجابهة تحدياته ووسائل التعامل معه وقد يكون رابعًا أكثر تعجيزًا على منوال الغزو العراقي للكويت والذى بدأ بتبادل اتهامات حول مصالح نفطية ثم تطور بإيقاع سريع إلى مطالبات حدودية قبل أن يتفجر حول السيادة على دولة الكويت ذاتها، وبقدر تعقد الخلاف كانت المواقف العربية منه معقدة، وبلغت ذروة تعقيدها بانقسام النظام إلى معسكرين متناقضين مع وضد.

وتتغير قوالب الأزمات ومضمونها، ولكن تبقى ديناميكيتها واحدة يمكن تحليلها إلى ثلاث خطوات أساسية:

الأولى: تتمثل في صدور قرار أو اتخاذ موقف من قبل أية دولة عربية تعبيرًا عما تتصوره مصلحتها الوطنية التي لا يمكن التنازل عنها ودون حوار غالبًا مع الطرف الآخر المعنى بهذا الموقف.

الثانية: تقوم الدولة العربية المعنية بهذا الموقف بالتصدى له وإدانته في كل الأحوال دونما توقف عند حدود مشروعيته والتساؤل: هل للطرف الآخر الحق في اتخاذه أم لا، ودون سعى للحديث المباشر مع هذا الطرف حول حيثياته في هذا الموقف الجديد أو القرار الذي أصدره؟

الثالثة: ويتبدى عجز الطرفين واضحًا عن الحوار حول ما يعتبره كل منهما مصلحة عليا قد تأخذ بشكل مباشر صفة (الوطنية) أو قد تتغطى برداء القومية.

وإزاء هذا العجز المزمن عن الحوار المباشر سعيًا إلى حل وسط سياسى وتمترس كل طرف خلف مطالبه الكاملة حيث المطلق والمثالى لا يكون ثمة مخرج إلا عبر حالات ثلاث هى:

١ - استفحال الخلاف إلى درجة التفجر العنيف بين طرفيه على نحو يهدر طاقاتهما في صراعات لا مبرر لها أو تعمقه إلى درجة التعقد المزمن الذي يحدث القطيعة بين الطرفين لآماد بعيدة وصلت نصف قرن في بعض الحالات، مع ما تمثله هذه القطيعة من إهدار لمميزات التكتل والتعاون من جهة وإهدار لبعض الموارد في ممارسة الصراع.

٢ - تدخل أطراف عربية أخرى في الخلاف إما على سبيل التهدئة أو الوساطة على طريق تجاوز الأزمة وهو ما يحدث أحيانًا أو على سبيل دعم أطرافها المتنازعين لأسباب نفعية وقطرية جد متباينة تؤدى غالبًا إلى جمود النزاع ونادرًا إلى تفجره كما يحدث أحيانًا.

٣ - تدخل أطراف دولية أو إقليمية غير عربية في النزاع عندما يكون ماسًا بمصالح استراتيجية لهذه الأطراف الدولية والإقليمية على السواء، وهنا تقل سيطرة الدول العربية على النزاع، وتصبح مسارات تطوره رهنًا بإرادة هذه الأطراف وعلى النحو الذي تقتضيه مصالحها المباشرة أو غير المباشرة سواء اتحدت هذه الأطراف مع هذا الطرف أو ذاك أو تفرقت في اتجاه دعم ومساندة الطرفين المتصارعين الأمر الذي يفاقم النزاع حيث يمتد طويلاً وفى المكان فسيحًا وفى التداعيات عميقًا.

وتعبر هذه الأزمة عن مفارقة حيث إن وجود نظام عربى يستند إلى ثقافة مشتركة يفترض أنها مانعة لعملية إنتاج نمط الأزمات بتأثير روابط القربى. وديناميات عمل النظام لكن هناك ارتفاعًا في نسبة تكرار نمط الأزمات وهى مفارقة يمكن تفسيرها بوجود فجوة بين مستويى التصور والسلوك لدى جميع الدول العربية فجميع هذه الدول ينطلق غالبًا في تصوراته لمردود فعل الأطراف الأخرى إزاء مواقفه وقراراته في مثاليات الرابطة القومية في الوقت الذي يصدر سلوكه العملى ممثلاً في هذه القرارات والمواقف عن إدراكه لخصوصيته وما يتصوره من مصالحه العليا ففى المسافة بين تصوراته النظرية المثالية لما ينبغى أن يعامل به من قبل العرب الآخرين وبين سلوكه الفعلى الذي تعامل به هو مع هؤلاء العرب تكمن ثورة توقعات متزايدة تعانى دومًا من الإحباط.

النظام العربي والقوى الإقليمية والخارجية

● إن المنظومة العربية ليست مغلقة حيث تعمل دول أخرى دائمًا على اختراقها للدرجة التي يعرف بها بعض المحللين هذه المنظومة من حيث علاقتها بالصراع العربي - الإسرائيلى على أساس أن (إسرائيل) تمثل التهديد الرئيسي للأنظمة العربية فكانت بذلك عامل توحيد في السياسات العربية، كما صار الجهاد من أجل فلسطين عاملاً من عوامل التعبئة إلا أن السياسة العربية البينية لم تكن مشغلة بـ (إسرائيل) طوال الوقت فقد انهمكت في منافسات حادة أحيانًا لكسب القوة والنفوذ في إطار ما عرف تاريخيًا بالحرب الباردة العربية - العربية في عقدى الخمسينيات والستينيات وهناك رأى يذهب إلى أن الحكام العرب قد استخدموا القضية الفلسطينية كعصا يضرب بها أحدهم الآخر.

وإذا كان البعض يعرف المنظومة الفرعية العربية من زاوية الصراع العربي - الإسرائيلى فإن آخرين يعرفونها من زاوية المنافسات بين الدول الكبرى التي دارت في المنطقة، والمنطق الكامن وراء هذا التفكير هو أن وحدات القوة في منظومة فرعية دولية إنما تكون تابعة وذات مرتبة أدنى بالنسبة لوحدات في منظومة عالمية مؤلفة من دول كبرى.

وهناك وجهتا نظر مغاليتان فيما يتعلق بالعلاقة بين الدول الكبرى والنظام الإقليمي فترى الأولى أن التاريخ يكتب وكأن الدول هى خشب يطفو في بحر الشئون الدولية ومصائرها تتحدد بقرارات الآخرين أما وجهة النظر الثانية فتشدد على أهمية البيئة الإقليمية مثل: البيئة الدولية فترى أن تحرك التغيير الرئيس بموجب هذا الرأى هو محرك داخلى وليس خارجيًا.

وعمومًا فإن التبعية ليست شرطًا ضروريًا لوجود المنظومات الفرعية، ولكن نظرًا لأن الدول الكبرى لديها قدرات ضخمة، وربما أنها متفوقة على الدول الصغيرة فهى تستطيع أن تمارس نفوذًا على اللاعبين المحليين بيد أن الدول الكبرى تجد نفسها أحيانًا غير قادرة عل ترجمة مواردها المادية إلى سيطرة سياسية مباشرة حيث إن هيكل المنظومة الدولية يقيد قدرة هذه الدول على السيطرة التامة على فعاليات الدول الصغيرة.

ويمكن القول أيضًا إن الخارج سعى عبر التاريخ - وما زال يسعى - بالنسبة لهذه المنطقة الحساسة إلى أن يمنع تماسكها وتكاملها، وذلك لأن الخبرة التاريخية تشير إلى أنها ما تماسكت وكونت كتلة إقليمية إلا وأثرت في التوازنات الدولية، ومع ذلك فإن الطرف الخارجى لم يكن ليستطيع أن يحدث آثاره التي نراها لولا حالة غياب التماسك التي نرصد وجودها في النظام العربي منذ النصف الثاني من السبعينيات على الأقل، وثمة علاقة جدلية بين عوامل الضعف الداخلية والاختراق الخارجى للنظام فالأولى تشجع على هذا الاختراق، وتيسر له فإن وقع تمكن من العمل على زيادتها أى عوامل الضعف الداخلية.

النظام الإقليمي في الرؤية الأمريكية

● ما يحكم السياسة الأمريكية تجاه المنطقة ليست هى المبادئ والقيم أو الديمقراطية أو الشرعية الدولية بقدر ما هى مجموعة منتقاة من القواعد التي يحكمها أساسًا تصور أمريكى بزوال الأخطار المنظورة التي تهدد مصالحها وهندسة المنطقة بما يؤدى نهائيًا إلى عدم وجود معارضة لهذه السياسة.

تنظر الولايات المتحدة إلى المنطقة على أنها وحدة جيواستراتيجية واحدة من الخليج إلى المتوسط ومن بحر عمان إلى البحر الأسود هذا هو القلب الشرق - أوسطى الذي تهتم به المصلحة الاستراتيجية الأمريكية؛ لأنه يشتمل على الطاقة وعلى المضايق والطرق و(إسرائيل) وأسواق الاستهلاك.

وهذا القلب الشرق - أوسطى بات مفتوحًا على أجنحة ثلاثة لم تكن متاحة وقت الحرب الباردة مفتوحًا على جنوب - القرن الإفريقى وعلى الشمال - دول آسيا الوسطى وعلى الغرب - دول المغرب العربي وحرصت أمريكا أن تضع هذه المنطقة كلها في دائرة الضبط المباشر من خلال التدخل المباشر بعد حرب الخليج الثانية أو بالتعاون مع (إسرائيل) وتركيا.

وفرضت الولايات المتحدة على هذه المنطقة احتكارية مطبقة منذ ١٩٩١م كما بدأت بفرض أنواع أخرى من السيطرة على القرن الإفريقى من جهة وعلى آسيا الوسطى ونفط قزوين من جهة ثانية، وعلى شمال أفريقيا من جهة ثالثة.

وجوهر المشروع الأمريكى لمنطقة (الشرق الأوسط) منذ حرب الخليج الثانية اعتمد على عدة ركائز تشكل الإطار الذي يسعى إليه كنظام إقليمى يمثل أحد مكونات (النظام العالمى الجديد) أهمها:

- ألا يعتمد النظام الإقليمى للمنطقة على وجود عربى متكامل بمفهوم الأمن الجماعى أو وجود إسلامى مع تحديد شكل التعامل مع دول المنطقة العربية وغير العربية على أساس فردى ووفقًا لمتطلبات نجاح المشروع الأمريكى وفى صوغ الأوضاع السياسية والاستراتيجية لهذه الدول ودورها في تحقيق الأهداف الموضوعة.

- ضمان أمن منطقة الخليج من خلال ترتيبات محددة تشارك فيها الولايات المتحدة وقوى غربية بوجود عسكرى دائم في المنطقة كإجراء ضرورى لسد الفراغ الأمنى وحماية المصالح الأساسية.

- ضبط مستويات التسلح كركيزة للهيمنة على المنطقة، ولتحقيق توازنات للقوى تخدم المشروع الأمريكى لضمان التفوق الإسرائيلى ومنع احتمالات الصدام المسلح بتحريم استخدام أسلحة التدمير الشامل.

ويمكن القول إن السياسة الأمريكية الشرق أوسطية لا تنفير؛ لأن الذي يقرر السياسة الأمريكية الخارجية هى المصالح الاقتصادية من جهة؛ ولأن الأهمية الاستراتيجية للمنطقة لن تتبدل كذلك فإن الشراكة الاستراتيجية النوعية بين (إسرائيل) وأمريكا لن تتعدل فضلاً عن الهاجس الأمريكى الذي يلح على مسألة التصدى لما تسميه (الإسلام السياسى) وهو تعديل فرضته أمريكا في قمة شرم الشيخ ١٩٩٦ ومنذ ذلك الوقت تطلب واشنطن إنشاء (حلف عصابة) لضرب المقاومة وإجراء تغييرات فكرية واقتصادية تحت شعارات مواجهة (الإرهاب).

وكانت أحداث ٩/١١ فرصة ثمينة للأمريكيين ليقوموا بوضع دول عربية وإسلامية عديدة على قائمة الدول المستهدفة ضمن الحملة ضد (الإرهاب) وتهديد دول أخرى بفرض عقوبات وغيرت استراتيجيتها من الردع إلى الضربات الوقائية بهدف الإطاحة ببعض النظم في المنطقة وتنفيذ ما تسميه (إصلاحات ديمقراطية) في دول المنطقة العربية لتحقيق نظام إقليمى شرق أوسطي.

المراجع:

١ - د. فواز جرجس: النظام الإقليمى العربي والقوى الكبرى، بيروت، مركز دارسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٧م.

٢ - جميل مطر، ود. علي الدين هلال: النظام الإقليمى العربى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣، ١٩٨٣م.

٣ - ماجد كيالي: المشروع (الشرق أوسطي) أبعاده - مرتكزاته - تناقضاته، أبو ظبى مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط١، ١٩٨٢م.

٤ - مجلة شئون عربية عدد ١٠٥، مارس ٢٠٠١م.

٥ - مجلة شئون عربية عدد ١٠٧، سبتمبر ٢٠٠١م.

٦ - مجلة حصاد الفكر عدد ١١٤، أكتوبر ٢٠٠١م

٧ - مجلة حصاد الفكر عدد ١٢٩، يناير ٢٠٠٣م.

● باحث - مصري

طابور الإستفزاز

أحمد شيلان

● تعززت قناعتي بأهمية الخوض في العنوان الوارد أعلاه ومن على صفحات صحيفة "الثورة" تحديداً ..لأسباب كان آخرها سؤال وجِّهه إليَّ زميل يعلم تماماً موقفي الذي أعلنته ومازلت أجاهر به ، ورغم ذلك سألني عن "موقعي من الخيواني"؟!

ولاحظوا أن السؤال عن "موقعي" بالعين وليس عن "موقفي" بالفاء.. كما أفترض أن يكون السؤال "إن كان الهدف السؤال للبحث عن إجابة غير معلومة لدى السائل".

● ربما كان الزميل يريد أن يستفزني سيراً على منوال بقية طابور الاستفزاز الذي جعل من قضية الخيواني مفردة استفزاز يضيفها إلى مفردات أخرى يستعيض بها عن إفلاس من قضية يشمر للنضال من أجلها أو يسوق نفسه من خلالها.

● وربما أراد زميلي أن يذكر بالقضية ويوصل رسالة إلى زملاء آخرين شهدوا السؤال وشاركوا في الإجابة تصريحاً وإيحاءً وهزة رأس.

وربما .. وربما.. وبين ربما وربما لم تسعفني اللحظة أو يمنحي صخب جدلها فرصة لأذكر الزميل السائل بأني سألته ذات يوم: أين كان خلال جلستي محاكمة للخيواني حضرتها ولم أصادفه..؟ مع قناعتي بأن ذلك ليس مقياس التضامن أو حتى ترمومتر مستواه.. على اعتبار أن لكل طريقته ووسيلته وظروفه وارتباطاته التي تحدِّد أو يحدد على أساسها كيفية التضامن والمؤازرة والتعاطف والتعبير عن الموقف..

● ولأن ما سبق كان آخر الأسباب - كما اسلفت- فإن أولها تلك التصفيات التي تقسم زملاء المهنة إلى "صحفيي سلطة.. وصحفيي معارضة" وتتبع هذا التقسيم بتصنيف المعارضين كرؤوس حربة التضامن.. بينما القسم الآخر هو المتراخي وغير المهتم - إن لم يكن في الإتجاه المضاد- وتلك -لعمري- هي الفرْية التي يسهم شيوعها في مزيد من تمزيق صفوفنا ومواقفنا وقبلها أوصالنا التي، ما انفكت السكاكين تمزقها بمواقفنا واستثمار ظروفنا وشفرات أقلامنا وسلوكيات ما يقترف البعض من وسياسات ومناهج وأفعال قيادات نقابتنا..؟ وأنا مضطر للقول وبكل أسف: "غير المأسوف عليها"؟!.

● إليه - ومازلت أعدد أسباب التناول طبعاً- ما وصلت إليه قضية الخيواني من زخم أجزم أن ثلاثة أرباعه وأربعة أخماس الربع الرابع منه ليس لعيون الزميل ولا لأذان الزمالة ولا للمهنة ولا للقيم الانسانية فيه نصيب.. ولكم أن تفتشوا عن خمس الربع المتبقي في عيون هادئة وأقلام صادقة وإجراءات وتدابير عقلانية وذات جدوى عملية يقوم بها ويعمل على القيام بها زملاء دون ضجيج ولا شطط ولا من وحتى محاولات ظهور..

● ورغم تعدد الأسباب والاعتبارات المتبقية لاختيار "الثورة" موقعاً ومنبراً لهذه التناولة بالذات، فسأكتفي بإضافة أهمها على الإطلاق، وهو أن "الثورة" تحديداً ومعها كثير من الصحف المصنفة "سلطوية" لديها وعلى صفحاتها من سعة الصدر واتساع الرؤى والقبول بالطرح الموضوعي.

● وإن كان مخالفاً- ما لايوجد في صحيفة من صحف الشطط ومنابر الشطح والنطح وآفاق وعقليات أولئك الذين يدعون الحرية والتحرر والاختلاف والتعدد ملكية فكرية مسجلة بأسمائهم وحصرياً لأقلامهم.

أما بعد:

● فاعلموا يا أبناء المهنة وحاولوا ما استطعتم أن تعلموا أبناء "المهرة" ومعهم "ممتهني" الحرف والكلمة أن التعاطف مع الخيواني المحكوم قضائياً - كزميل مهنة- وكذا التضامن معه ومؤازرته لايعني بالضرورة أن تتحول أقلامنا إلى خناجر وسهام وفوهات بنادق نوجهها صوب الوطن وننسف بها كل شيء جميل وكل مكسب أو منجز نبيل تحقق أو يتحقق..!.

ولايعني على الإطلاق أن نجعل من هذه القضية ثقل كفة توازيها كفة نضع فيها ثوابت الوطن ومصالح الأمة والنهج والديمقراطي وأهداف الثَّورة وقيم الوحدة.. وكل ما هو وطني عام.. حقيقة عامة .. مبدأ عام ..لنقول للعالم أن كل شيء في وطننا قبيح أو معدوم أو مصلوب أومعتدى عليه ما دام الخيواني في السجن ينفذ حكماً قضائياً لنا حوله آراء تتصاعد من التحفظ لتصل حد الرفض المطلق وبين المنزلتين عشرات المنازل..!

● يا هؤلاء: نعرف زملاء قياديين في مؤسسات إعلامية رسمية أو قولوا "سلطوية" يسعون ويبذلون من الجهود مالم ولن تقدروا عليه بضجيجكم وتهويلاتكم بحثاً جاداً عن حلول وإجراءات عملية حقيقية لتخفيف معاناة الزميل الخيواني، لا بدافع الزمالة والإنسانية وحسب بل وبقناعة أن الخيواني كان ضحية من دفعوا به إلى فوهة الزلل، وأصبح ضحية للمرة الثانية لأولئك الذين يتشدقون بالتعاطف معه لأغراض يعرفونها وتعرفونها كما نعرفها..

● ويا من تستغيثون بأحزاب الأمريكان ومفوضيات الانجليز ومنظمات الصهيونية العالمية بحثاً عن تصريح أو بيان أو نصيحة تلقون بها في وجه الحكومة اليمنية والقضاء اليمني لتعزيز حجتكم في مشروعية المطالبة بالإفراج عن الخيواني.. ألا تتذكرون أن مبتدأ ما وصل إليه الخيواني كان مناصرة رافعي شعار "الله أكبر .. الموت لأمريكا.. اللعنة على اليهود.. الموت لاسرائيل.. النصر للاسلام"؟!..

هل تناسيتم أنكم ومن وراءكم ومن دفع بالخيواني إلى حيث وصل أكلتم وأكلوا الثوم بفم الخيواني الذي استتر بمناصرة أصحاب الشعار ..متأملاً أن تحتسب له قضية ألقى بنفسه في سبيلها؟

● أتستخسرون فيه أو عليه مشروع قضيته وتلقون بها خلف جنونكم لتبحثوا له عن إغاثة ودعم ونصائح وضغوطات ممن كانت قضيته وقضيتكم ملاعنتهم..؟!.

● أتعتقدون أنه يشرفه أو يشرفكم أن تلقوا بأنفسكم وبه وبما كنتم ومازلتم وستظلون تزعمون في أحضان من صممتم آذاننا بخطابكم العدائي لهم..؟.

● نسألكم ونحن نعلم الإجابة سلفاً ولدينا كثير من الشواهد ليس أولها ولا آخرها استعانتكم للبحث عن قاتل جارالله عمر رحمه الله بجهات ودول ومنظمات وردت بأسمائها وصفاتها في آخر خطاب للشهيد جارالله عمر نفسه على أنها تتصدر أعداء الأمة وأعداء القومية وأعداء الديانات السماوية وأعداء الإنسانية بقيمها ومعانيها وكل ما ينسب لها.. ورغم أن القيتم بجارالله وخطابه ونضاله وكلمته التي كانت بمثابة الوصية وراء نزقكم وهوسكم وحنينكم للارتماء في أحضان الشياطين بحثاً عن إثبات ما ثبت أمام الله وخلقه..!.

● يا من قتلتكم الغيرة على الخيواني:

ألم تسمعوا أصواتاً بحت على مشهد من طابور نقابتنا وجمع منا وهي تحرضكم على موقف عملي جاد نلتف حوله وتتبناه نقابتنا لاستغلال مبادرة رئيس الجمهورية التي قضت بتعديل قانون الصحافة لإلغاء عقوبة حبس الصحفيين؟.

● ألم نقل حينها أن الكرة في مرمانا وأن الفرصة مواتية لنبادر الحكومة بمشروع تغطية توجيهات الرئيس نحاول من خلاله أن "نمرر" على الحكومة والبرلمان ما استطعنا من تعديلات تخدم المهنة وتقينا بعض الشر؟

● ألا تتذكرون أننا جمعنا إلى النقابة لهذا الغرض وفوجئنا بقائل نقابي وعلى مسمع ومرأى من جمعنا يقول أن هذا ليس موضوع اجتماعنا.. فصفق له البعض وتساكت البعض وغادر البعض احتجاجاً ويأساً.

● ألا تشعرون بالندم والخجل أو تؤنبكم ضمائركم بأنكم كتبتم الحروف الأولى من الحكم والإرسالية التي تصدر بها الخيواني إلى السجن عندما تعاليتم على المبادرة وسفهتم آراء الداعين إلى التقاطها واستثمارها وتحقيق ما أمكن تحقيقه من مكاسب مع تحقيقها ثم مواصلة النضال لانتزاع ما بقي لنا من حقوق نؤمن ولاتؤمنون انها لن تعطي لنا مالم نعمل ونبادر ونناور ونقتنص كل فرصة مواتية لانتزاعها..

ثم أين تحركات نقابتنا المسخ وهل طرقت باب الحكومة وباب الرئاسة وباب مجلس القضاء أو أي باب من الأبواب التي تطرقها برسائل استجداء المعونات والهبات..؟

● ألم يتضح بعد أن نقابتنا المسخ لها ضلع فيما وصل إليه الخيواني وأننا جميعاً لنا ضلع في ميلاد هذا المسخ الذي يميع كل قضايانا منذ أن شرعنا له التمييع حين أعرضنا عن إصلاح شأن كياننا بإصلاح نظام نقابتنا في المؤتمر العام الذي تسابقنا خلاله على الانتخاب فقط، وبالغنا في التباهي بانضباطية ثلاث جلسات كانت الجبل الذي تمخض فولد مسخاً لايعرف ماهي الحقوق ولا أين تقع الواجبات ولا من أين تبدأ البدايات..!.

● ثم أليس من مفردات التضامن مع الخيواني السؤال عن دور وموقف حزب الهوس الرجعي وقيادته المغرمة حد الشبق بالقفز على كل معادلات التاريخ والجغرافيا والرياضيات، ولكن بأقدام من يقعوا ضحايا مغرياتها التي سرعان ما تحتجب وتتصلب براءة من عكاز تدحرج أوغاص في أرضية هشة أو التهمه مستنقع ولو كان ذلك لحظة اتكائها عليه..؟

● أيها المتضامنون مع الخيواني:

إنني ومن على صفحات صحيفة "الثورة" أعلن تضامني معه وأدعوكم للتضامن معه بكل الأساليب والوسائل المشروعة التي من بينها تعاطي المفردات سالفة الذكر وليس منها على الإطلاق التحريض والحشد ضد الوطن أو جلد مكتسباته أو التنكر لنظامه وثوابته وتشريعاته أو استلال أدوات الهدم والبتر لاقتلاع فسائل الخير الجميلة التي نبتت على تراب الوطن وتحتاج منا إلى الرعاية والعناية بدلاً من التنكيل والتنكر .

● أتضامن مع الخيواني وأدعوكم للتضامن معه ومع الوطن الذي لايجوز أن يساوى أو يوازى به مليون خيواني + مليون غيلان+ مليون زايد من فئة متضامن شطاح.. لأن الوطن هو الوطن.. نموت ليحيا ونفنى ليبقى وتذهب ملايينا ليأتي الوطن صبحاً جميلاً آمنا معافى.

● يا من امتطيتم صخب التضامن ولبستم جلابيب الدفاع عن الحقوق والحريات.. احفظوا لهذا الشعب حقه في أن يسمع أو يقرأ أو يتنفس أملاً.. صدقاً.. جملة عطف.. حرف صواب..كلمة سواء تبني .. ترشد.. توجه تبشر.. بدلاً من خطاب البؤس وأصوات القنوط وشفرات السحل ومقاصل التصفيات والزنازن المظلمة ومطارق القهر ومعاول الهدم وأسواط القهر التي تخلقونها وتختلقونها وتسوقونها دون أن تسألوا انفسكم قبل أن يفاجئكم أبسط فضولي بسؤال من وزن "لو كانت مثل هذه الأشياء حقيقة هل تجرأون على فعل أو قول أو حتى همس مما تقترفون وتهرطقون"..؟

ألا إنكم لتدحضون أقوالكم بأفعالكم ويأبى الله إلا أن يكشف ما تدرون بما لاتدرون.. وكان الله في عونك أيها الزميل الخيواني فكم أنت - اليوم- بحاجة إلى التضامن والمؤازرة بعد أن غدوت وغدت قضيتك مطية من لامطية لهم لا إلى حريات الإنسان .. ولا إلى حقوق الأوطان..؟!.

«مصر» التي في خاطري..!

حسين جمال البكري

● أثناء الاحتلال الصهيوني لمدينة غزة المناضلة عام ١٩٥٦م كانت أغنية (مصر التي في خاطري وفي دمي أحبها...).

كانت أغنية أقرب إلى النشيد الوطني الذي فرض كلماته ولحنه على الشارع العربي حينذاك.

كنت معجب جداً بتردديه بيني وبين نفسي ويبدو أن صوتي ارتفع قليلاً: مصر التي في خاطري..

ليسمعني جندي إسرائيلي جبان فسألني بغيظ شديد: تغنى لمصر!! ولماذ مصر؟ لم لاتحبنا نحن؟ لم لاتحب إسرائيل!! قلت له: مصر بلد عربي عزيز على جميع العرب، مصر تحبنا ونحبها، مصر لاتحتل وطننا فلسطين.

وعندما شعرت به غاضباً مغتاظاً قررت أن أنسحب بهدوء.. ابتعدت عنه خطوات ثم فجأة هجم عليَّ يضربني واضربه .. لقد كنت صغيراً فلم أتحمل وعمري لايتجاوز الثالثة عشر عاماً.

وقعت أرضاً وصحوت على صوت أبي في بيتنا يسألني عما حدث فحكيت له: فقال لي مسروراً: إذاً ضربك لأنك تحب مصر قلت له نعم. منذ صغري وأنت تعلمني حب مصر والعروبة .. وبعد أن فكر أبي لحظة سألني: ماسم الأغنية؟

قلت له: (مصر التي في خاطري وفي دمي أحبها...).

● نعم لقد كنت أحب مصر ومازلت تماماً كحبي لجميع العواصم العربية، وعلى وجه الخصوص محبتي ليمننا العزيز الغالي، مباركاً له أعياده السبتمبرية .. مع باقة حب ووفاء من القلب إلى القلب .. «أوليس الأمر كذلك يامريم!!».